الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

رؤية عبد الرحمن الحاج صالح لقضية السماع اللغوي في كتابه

(السماع اللغوي العلمي عند العرب)

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
الميدان: اللغة والأدب العربي
الشعبة: دراسات لغوية
التخصص: اللسانيات العربية

إعداد الطالب:
مختار ضيف

إشراف: أ.د.بلخير شنين

السنة الدراسية:2023/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

إلى روح والدي العزيز الذي فارقنا بجسده، ولكنه ما يزال موجود من خلال أفعاله وكلماته رحمه الله.

إلى الشخص الذي أمدني بالحب والحنان والعطاء والوفاء أمي الغالية.

إلى زوجتي رفيقة الكفاح والظروف الصعبة التي لم تبخل بوقت أو جهد لمساعدتي.

إلى من شجعني على مواصلة مسيرتي العلمية ولم يبخل يوما بمساعدتي رفيق دربي أخي مصطفى.

إلى فلذات الكبد و فرحة عمري محمد وائل وأسيل.

وإلى كل من شجعني وساعدني على إتمام هذا العمل

شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفقني إلى إنجاز هذا العمل، وأنار لنا درب العلم والمعرفة، وأعاننا على أداء هذا الواجب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى من كان سببا في نجاح هذا العمل المتواضع

بدءا بالمشرف على هذا العمل الأستاذ بلخير شنين الذي لم يبخل علي بتوجيهاته فأقدر جهوده في إمدادي بالمعلومات والإرشادات.

كل العرفان أيضا للأستاذة خديجة عنيشل التي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأسرة قسم اللغة والأدب العربي وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع

I have studied the book The Scientific Linguistic Hearing among the Arabs and the Concept of Eloquence by the linguist researcher Abd al-Rahman al-Haj Salih, trying to identify the concept of hearing, what it is, its conditions and sources, and the extent to which scholars extrapolate the speech of the Arabs and their extrapolation of the Qur'anic text and their keenness on direct listening and their control of the Arabic code through their reliance on ancient grammatical books and sources

key words:
The linguistic listener - Abd al-Rahman al-Haj Saleh - the Arabic blog - the words of the Arabs

Résumé:

J'ai étudié le livre The Scientific Linguistic Hearing between the Arabs and the Concept of Eloquence du chercheur linguiste Abd al-Rahman al-Haj Salih, en essayant d'identifier le concept d'audition, ce qu'il est, ses conditions et ses sources, et l'étendue auquel les érudits extrapolent le discours des Arabes et leur extrapolation du texte coranique et leur souci de l'écoute directe et leur contrôle du code arabe en s'appuyant sur des livres et des sources grammaticales anciennes

les mots clés:

L'auditeur linguistique - Abd al-Rahman al-Haj Saleh - le blog arab la parole des Arabes

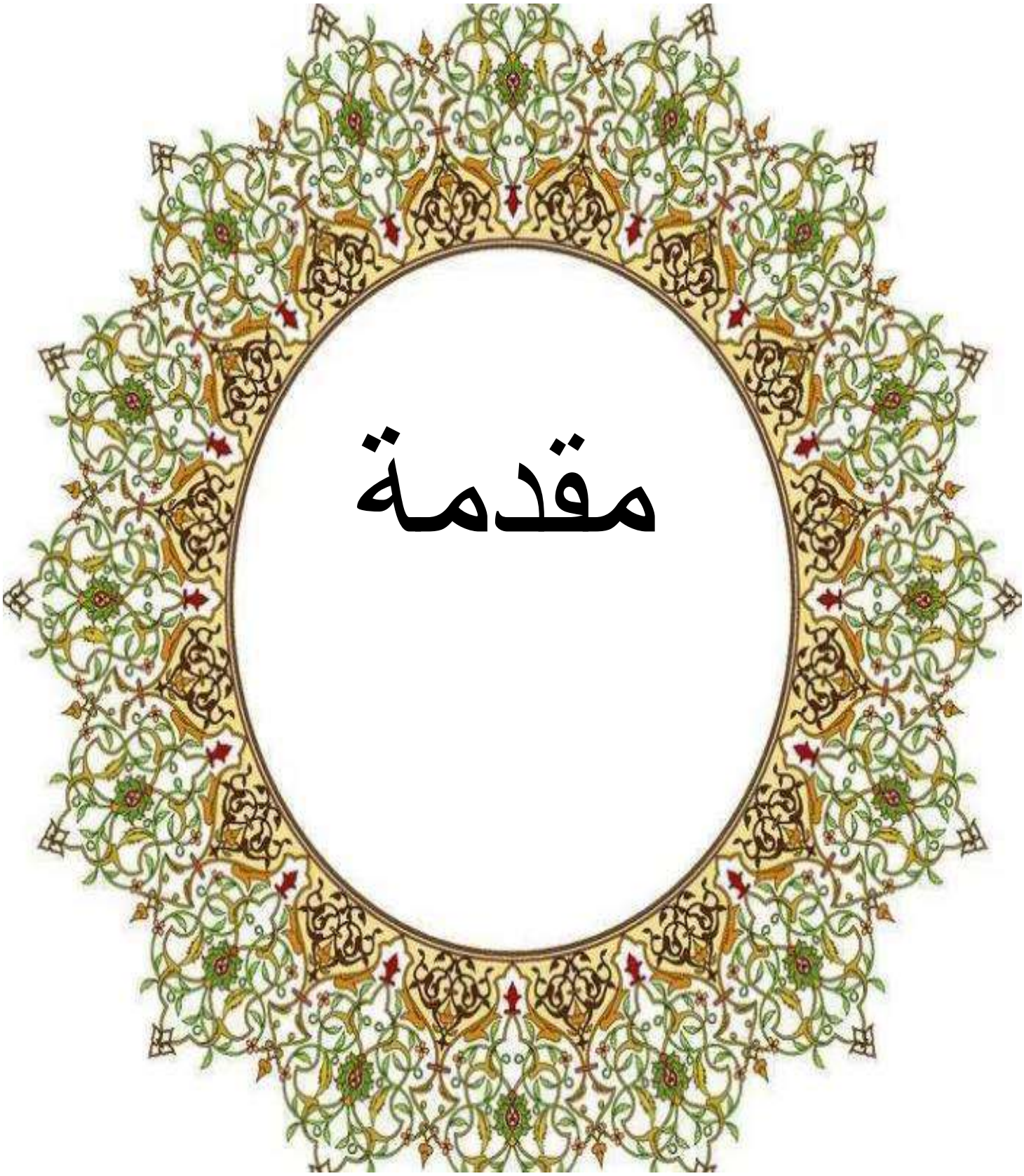
مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد:

لقد اعتمد علماء اللغة العربية على تدوين اللغة وجمعها معتمدين على مدونة السماع المباشر وفق قواعد وأسس لغوية موضوعية مما شكل اهتمام علماء العرب، حيث اعتمدوا السماع كمصدر أول من مصادر اللغة وكونه أصل من أصول النحو العربي معتمدين على التحريات الميدانية الواسعة، التي عكف عليها رجال وعلماء أكفاء شهد لهم بالإخلاص والتفاني، ومن بين اللسانيين الذين كرسوا جهودهم في خدمة لغة القرآن، وعلوم اللسان عبد الرحمن الحاج صالح من خلال كتابه النفيس {السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة}مبرزا التراث اللغوي، وتدوين اللغة من خلال المدونة(السماع)التي عرجت في موضوعي الموسوم خلالها بعنوان:" رؤية عبد الرحمن الحاج صالح لقضية السماع اللغوي في كتابه(السماع اللغوي العلمي عند العرب) محاولا التطرق إلى الجهود النحوية العربية التراثية بالولوج إلى هذا الموضوع طارحا الإشكال الرئيسي الآتي:

ما هي رؤية عبد الرحمن الحاج صالح للسماع اللغوي؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات عدة منها:

- ✓ ما هي السبل التي أقام عليها علماء العرب القدامى مبدأ السماع؟
- ✓ كيف عنى العرب بصحة المسموع وجعلوا منه سماعا موضوعيا علميا؟

ولمعالجة هذه الإشكاليات اقترحت فرضيات منها:

- ✓ تؤدي نظرة الحاج صالح للسماع اللغوي إلى تبيين سبل السماع اللغوي العربي
- ✓ تتجلى رؤية الحاج صالح في مبادئ السماع لدى علماء العرب.

وقد جاءت دراستنا لإجراء قراءة في كتاب السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة لعبد الرحمن الحاج صالح لأسباب أهمها:

- ✓ كون الموضوع لم يسبق دراسته دراسة تحليلية وتفصيلية محاولا قدر المستطاع الولوج بدقة إلى محاور الكتاب والاستفاضة في هذا البحث.
- ✓ نشر أفكار وجهود عبد الرحمن الحاج صالح اللغوية والعلمية ومناقشتها.

ولأهمية الموضوع المطروق خاصة الدراسات اللغوية الميدانية كونه يحفز الباحثين على:

- التعرف على إحدى قضايا اللغة العربية، ألا وهي السماع اللغوي عند العرب.
- أهمية السماع في تحصيل اللغة وعلاج مشكلات اللسان.
- السماع وسيلة كسب ملكة اللسان وتحصيل الفصاحة العربية.
- قواعد اللغة التي نشأت واقترنت بالسماع تحصيل أو تعليما، فالسماع مصدر قواعد اللغة كونه وسيلة علاجية مهمة لشفاء اللسان العربي من كثير من المشكلات التي يقع فيها لاسيما الضعف السائد لدى الألسنة الذي يعرفه مجتمعنا وانصراف الطلبة عن

دراسة اللغة العربية بحجة صعوبتها، وجفاء علومها حتى وصل لمدرسيينا فلم يعودوا قادرين على إقامة اللغة السليمة التي تراعي قواعد النحو و الإفصاح.

وقد اعتمدت في دراستي على منهج وصفي تحليلي، يعتمد من خلال ذلك على وصف وتحليل أصول البحث العلمي في التراث العربي التي اعتمد عليها ووضع القواعد النحوية لها والطرق التي يسلكها الراوي الذي سمع بعد سماعه .

و قد شملت خطت بحثي على مقدمة وفصلين(نظري وتطبيقي) وخاتمة.

فحددت الفصل الأول بعنوان السماع اللغوي عند العرب مبرزا ماهية السماع عند العرب القدامى ومدى تناقلهم للسماع من أفواه العرب بأسس وقواعد لغوية.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان السماع اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح مبينا فيه مفهوم السماع برؤية الحاج صالح والمعايير الصحية لمحتوى المسموع إضافة إلى التحريات الميدانية ومناطق السماع عند العرب.

وختمت بحثي بخاتمة مبرزا فيها النتائج التي توصلت إليها، واقفا قدر المستطاع على محاور الكتاب ومدى رؤية عبد الرحمن الحاج صالح للسماع، وجهوده اللغوية المستفيضة، مستعينابأهم المصادر كتاب سيبويه، وكتاب الخصائص لابن جني، ولسان العرب لابن منظور، وكتاب الاقتراح في أصول النحو للسيوطي، وكتاب الإغراب في جدل الإعراب، ولمع الأدلة في أصول النحو لابن الأنباري وكتاب منطق العرب في علوم اللسان والسماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة لعبد الرحمن الحاج صالح.

وفي مسيرة بحثي واجهتني بعض الصعوبات التي تكمن في مشقة تحليل هذا الكتاب المعمق التحليل والدراسة .

وفي الختام أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساعدوني في إعداد هذه المذكرة المتواضعة أخص بالذكر مشرفي الذي له الفضل في توجيهي وإبراز مسيرة الخطى والعثرات التي وقعت فيها راجيا من الله أن يكون هذا البحث خالصا لله مكللا بالتوفيق والنجاح.

ورقلة في: 25ماي 2023م

مختار ضيف

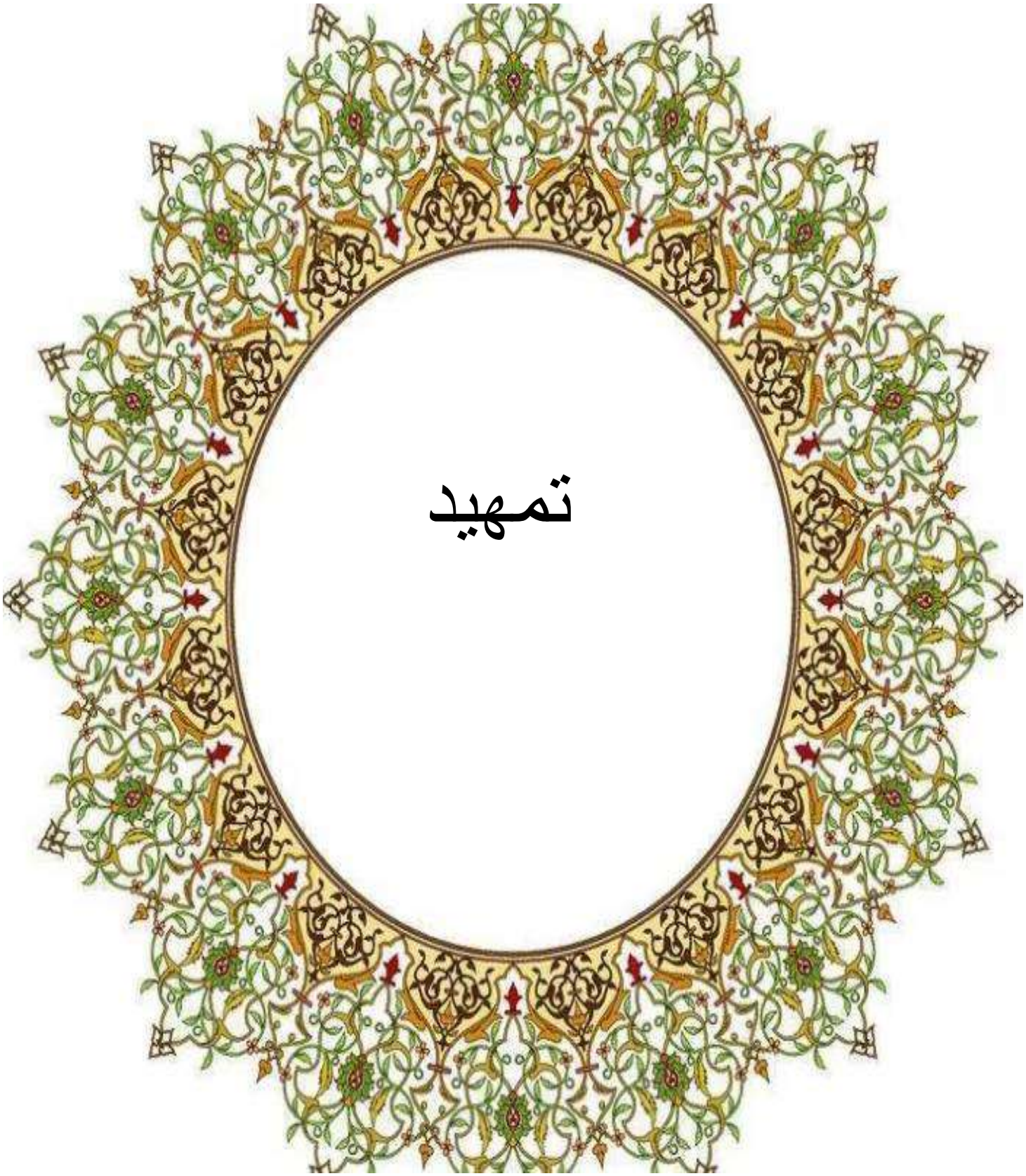
تمهید

ولدراسة هذا لا بد أن نعرف بصاحب الموضوع الذي هو قيد الدراسة.

أولا: التعريف بالدكتور عبد الرحمن الحاج صالح:

يعد عبد الرحمن الحاج صالح عالما وباحثا لسانيا جزائريا، من أبرز أعلام اللسانيات إذْ قدم الكثير للسانيات العامة واللسانيات العربية،من مواليد مدينة وهران ولد سنة1927م[1] بهذه المدينة التي تعد أكبر الولايات الجزائرية من أسرة عريقة،ومن عائلة معروفة نزح أسْلافها من قلعة بني راشد المشهورة إلى وهران في بداية القرن التاسع عشر.[2]درس في كتاب القرآن الكريم كغيره من طلبة العلم، تعلم في أحضان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3] التحق وهو ابن خمس عشرة سنة بحزب الشعب الجزائري،وبعد أن أتم تعليمه المدرسي التحق بجامع الأزهر فكان يحضر إلى بعض دروس اللغة العربية تعرف من خلالها على تراث اللغة العربية بوعي جديد فحول اهتمامه إلى الدارسات اللغوية المعاصرة،وهناك اكتشف أهمية التراث العلمي اللغوي، فلم يستطع إكمال دراسته في مصر فالتحق بجامعة بوردو(bordeaux) بفرنسا بعد أن أسهم في ثورة أول نوفمبر لمدة سنوات،ثم نزل بالمملكة المغربية وعمل بها أستاذا للغة العربية فرع اللسانيات في كلية الآداب بالرباط سنة 1960م وبعد استقلال الجزائر عاد إلى أرض الوطن، فأسهم كغيره في إعادة بنائها فالتحق بالجامعة الجزائرية مساهما في التأطير والتطوير، وأسندت إليه عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية إنجاز أطروحة الدكتوراه حول أصالة النحو العربي، صاحب مشروع الذخيرة اللغوية العربية عن طريق البرمجة الحاسوبية،وكان أول عالم عربي يدعو إلى ذلك المشروع، كما كان أول الداعين إلى تبني المنهج البنيوي.

وافته المنية سنة 2017م عن عمر يناهز90سنة[4]. رحم الله أستاذنا الكبير وجزاه الله خير الجزاء لما قدمه من إنجازات وجهود عظمي أسْهمت في النهوض باللغة العربية.

ثانيا: مسيرته العلمية:

لهذا العالم الجليل رحمه الله مسيرة علمية زاهرة حافلة بكل الإنجازات العظيمة[5].

1. الدراسات والشهادات

- ✓ بكالوريا من بوردو.
- ✓ دراسات في كلية اللغة العربية بالأزهر(1947م1949م).

---

[1]عبد الرحمان الحاج صالح:بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، د.ط ، 2007.

[2]عبد الرحمان الحاج صالح: فؤاد بوعلي، "شخصيات أدبية وعربية"، منتدى ملتقى الأدباء المبدعين العرب www.almoltaqa.com(2009/02/26).

[3]التواتي بن التواتي ، المدرسة النحوية ،دار الوعي، ط1 ،2008،ص 140

[4]ضيف الله سعيد:"إسهامات عبد الرحمان الحاج صالح الجزائري في تسيير البحث اللغوي"، مجلة العاصمة ، المجلد التاسع،2017،ص161.

[5]جامعةالدولالعربية،الهيئةالعلياللذخيرةالعربية،نهجالعقيدأمحمدبوقرة،رقم6،الأبيار،الجزائر

- ✓ ليسانس في اللغة العربية وآدابها جامعة بوردو فرنسا 1958م.
- ✓ دبلوم الدراسات العليا في فقه اللغة اللسانيات من الجامعة نفسها سنة 1960م.
- ✓ التبريز في اللغة العربية وآدابها من جامعة باريس 1961م.
- ✓ دبلوم العلوم السياسية كلية الحقوق بالرباط 1962م دكتوراه دولية في اللسانيات جامعة باريس الرابعة (باريس السربون1979م).

2. المناصب والمسؤوليات:

- ✓ أستاذ مساعد في كلية الأدب بجامعة الرباط (1961م1962م).
- ✓ أستاذ محاضر في جامعة الجزائر1962م.
- ✓ رئيس دائرة اللسانيات وقسم اللغة العربية بكلية الأدب بالجزائر (1963م1965م).
- ✓ عميد كلية الأدب بجامعة الجزائر(1962م1965م).
- ✓ معهد مدير العلوم اللسانية والصوتية جامعة الجزائر (1984م1966م).
- ✓ مدير وحدة البحث في علوم وتكنولوجيا اللسان(1991م1986م).
- ✓ مدير المركز الوطني للبحوث العلمية والتقنية اللغة العربية من(1992م2006م).
- ✓ رئيس المجمع الجزائري للغة العربية حتى سنة 2017م.

3. النشاط العلمي:

- ✓ رئيس اللجنة الدولية لمشروع الرصد اللغوي المشرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من (1975م1984م).
- ✓ رئيس اللجنة الدولية لمشروع الذخيرة اللغوية العربية (نفس المشرف)من1991م ثم رئيس الهيئة العليا لنفس المشروع تحت إشراف جامعة الدولية العربية من2004م.
- ✓ عضو في مجمع دمشق 1978م ومجمع بغداد 1980ومجمع عمان1984م ومجمع القاهرة1988م.
- ✓ عضو في عدة مجالس استشارية مثل المجلس الاستشاري معهد المخطوطات العربية التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- ✓ عضو في لجنة تحرير المجلة الألمانية الصادرة ببرلين.
- ✓ عضو باحث مشارك في مركز اللسانيات التقابلية بمعهد العلوم اللسانية والصوتية (جامعة السوربون الجديدة) بباريس (1993م 1998م).
- ✓ مدير مجلة اللسانيات الصادرة في الجزائر إلى غاية 1966م.
- ✓ خبير للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة اليونسكو.
- ✓ رئيس اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية في سنة 2000م.
- ✓ تعيينه رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية في سنة 2000م من طرف فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة.

الفوز بجائزة الملك فيصل العالمية في الرياض سنة2010م.

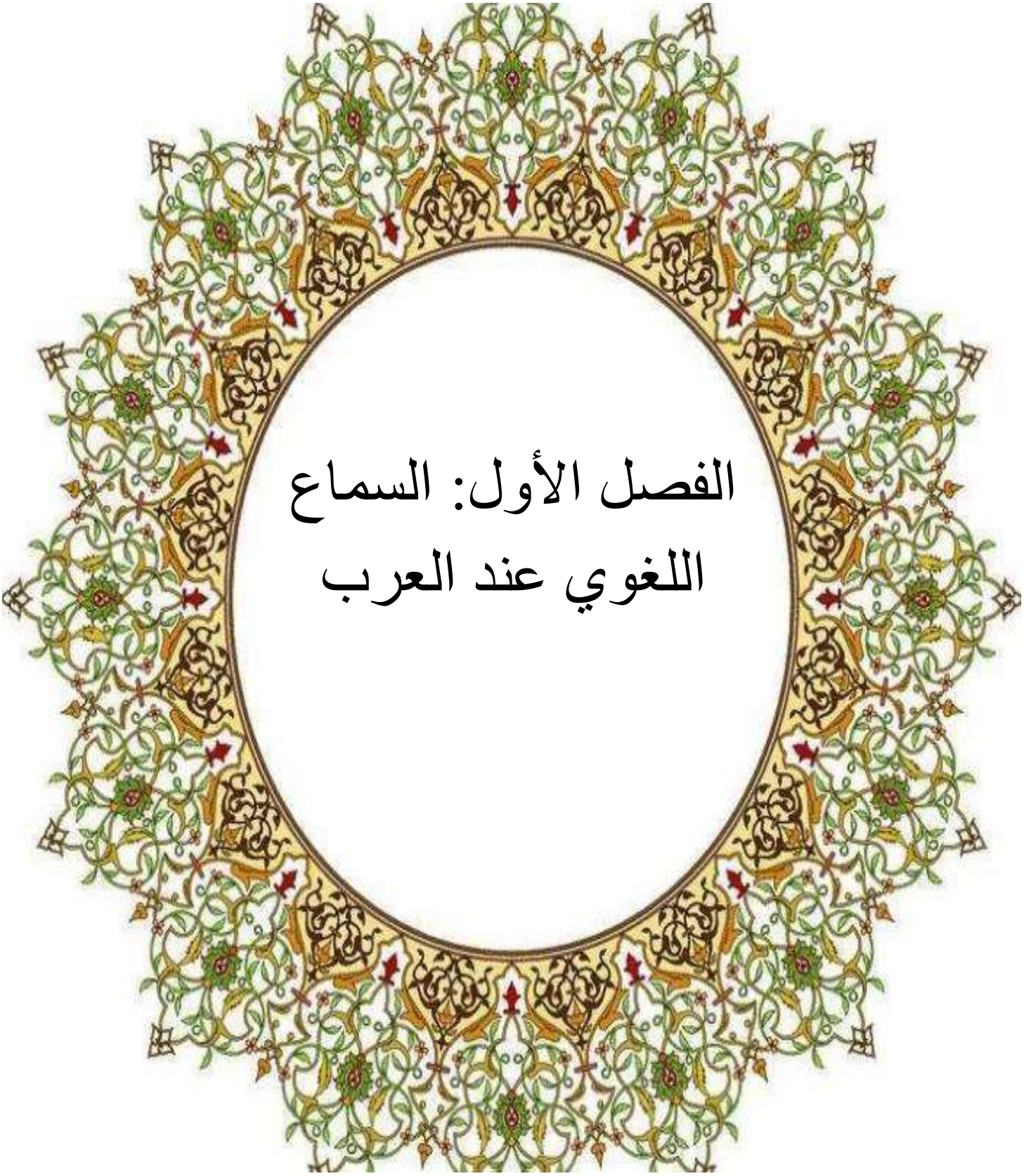

الفصل الأول: السماع اللغوي عند العرب

إن السماع أصْل من الأصول التراثية النحوية اللغوية التي أحيطت بالاهتمام من طرف العلماء القدامى إذْ هو القاعدة الأساسية التي تبنى عليها أصول الكلام العربي والمقياس اللساني الذي نعتمد عليه في جمع اللغة العربية وضبطها وفق منطلقات لسانية حديثة.

وسنتطرق في هذا الفصل إلى تعريف السماع لغة واصطلاحا وأهمية السماع وشروطه ومصادره التي أبرزها علماء العرب القدامى.

أولا: تعريف السماع:

أ- لغة:

مصدر لما سمعه وسمع إليه وسمع منه سمعا إذا أدركتْ الأصول بالحاسة المعلومة ويقول بن منظور" السمع حس الأذنْ "وفي كتاب الله عز وجل قوله تعالى:

﴿إن في ذلك لذكْرى لمن كان له قلْب أوْ ألْقى السمْع وهو شهيد﴾(سورة ق-37).

وفي الصحاح للجوهري وسمع: "سمْع الإنسان، يكون واحد أو جمعا كقوله تعالى:

﴿ختم الله على قلوبهمْ وعلى سمْعهمْ وعلى أبْصارهمْ غشاوة ولهمْ عذاب عظيم﴾

(سورة البقرة-7) لأنه في الأصل مصدر قوله:سمعت الشيء سمعا وسماعا، وقد يجمع على أسماع، وجمع الأسماع:أسامع"[1].

[1] الجوهري: الصحاح، مادة (سمع).

قال اللحْياني: وقال بعضهم السمع المصدر، والسمع:الاسم والسمع أيضا الأذن والجمع أسماع،ويقول ابن السكيت "السمع سمع الإنسان وغيره يكون واحدا وجمعا"[1]

من خلال التعريف اللغوي نعتبر أن السماع هو حاسة من الحواس الخمسة التي أودعها الله عز وجل لدى الإنسان ليدرك بها ما خفي عنه من أصوات.

أ- **اصطلاحا:**

يقال أنه الأخذ غير المباشر للمادة اللغوية ويعرفه ابن الأنباري بقوله "النقل هو الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى الكثرة فخرج عنه إذا جاء في كلام غير العرب من المولدين وما شذ من كلام"[2].

ومنه نستنتج أن ابن الأنباري استعمل مصطلح النقل بدل السماع لكثرة استعماله لدى العرب فصاحة ونقلا عن سند موثوق برواية سماعية واستثني منه كلام المولدين.

عرف السيوطي أيضا السماع تعريفا شموليا حيث قال "أعني به ما ثبث في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم و كلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام العرب قبل بعثته، وفي زمانه وبعده إلى أن فسدت الألسن بكثرة المولدين نظما ونثرا عن مسلم أو كافر"[3].

فابن الأنباري والسيوطي كلاهما عرفا السماع استنادا على من سبقهم من العلماء لعدم معايشتهما لزمن الفصاحة الذي عايشه سيبويه وغيره من العلماء.

وقد أقر في هذا القول أن المصطلح الذي استعمله السيوطي (السماع) هو مرادف لمصطلح النقل الذي استعمله الأنباري وعليه لا اختلاف بينهما.

ويقول تمام حسان في هذا الشأن " ومادمنا سمينا المنقول (مسموعا) فإننا نستطيع أن نسمي النقل(السماع) وان كان السماع أشمل في الحقيقة من النقل لأنه ربما شمل في الرواية (وهي النقل) وعلى مشافهة الأعراب وهي قد تكون بالرحلة أو الإفادة ".2

فتعليقا على القول الوارد وهو أن تمام حسان اعتبر مصطلح السماع أعم وأوسع من مصطلح النقل، لكون السماع يشمل الرواية وهي نفسها النقل إضافة الى مشافهة العرب والأخذ عنهم فكلا المصطلحين أجازهما للدلالة على بعضهما بعضا.

فنخلص أن النقل والسماع مصطلحان مترادفان كلاهما يصبان في معين واحد.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة(سمع).

[2] أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين محمد الأنباري: الإعراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تح، سعيد الأفغاني، دار الفكر، لبنان، ط2، 1971، ص81.

[3] جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، دار البيروني، دمشق، ط2، 1988، ص36

2 تمام حسان: الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ص 61 -62

ثانيا: أهمية السماع:

يعد السماع أصل من الأصول النحوية التي اعتمد عليها علماء العرب في تحصيل اللغة وإتقانها وتنميتها،والقرآن الكريم أبرز أهمية السمع في عدة آيات ومواضع قرآنية منها قوله: تعالى ﴿قلْ إنما أنذركم بالْوحْي و لا يسْمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون﴾ الانبياء45

وقوله تعالى﴿أولمْ يهْد للذين يرثون الأرْض من بعْد أهْلها أن لو نشاء أصبْناهم بذنوبهمْ ونطْبع على قلوبهم ْفهمْ لا يسْمعون﴾(الأعراف ـــ100).

وقوله أيضا:﴿أولمْ يهْد لهمْ كمْ أهْلكْنا من قبْلهم من الْقرون يمْشون في مساكنهم ْإن في ذلك لآيات أفلا يسْمعون﴾(السجدة ـــ 26).

فقدم الله عز وجل السمع على غيره من الآيات وقوله سبحانه في آية أخرى ﴿والله أخْرجكم من بطون أمهاتكم ْلا تعْلمون شيْئا وجعل لكم السمْع والأبْصار والأفْئدة لعلكمْ تشْكرون﴾ (النحل-78).

و قوله ﴿و لا تقْف ما ليْس لك به علْم إن السمْع و الْبصر والْفؤاد كل أوْلئك كان عنْه مسْؤولا﴾(الإسراء ـــ 36).

وقوله﴿قلْ هو الذي أنشأكم ْوجعل لكم السمْع والأبْصار و الأفْئدة قليلا ما تشْكرون﴾ (الملك ـــ23).

وقد يلجأ للسماع بغية التعليم وصقل الموهبة بالمشافهة، و قد عملت العرب على تدريب أبنائها على قرض الشعر،وقد يلتمس به حتى الآن،كتعليم الناشئة أحكام التجويد والتلاوة. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فقد حفظ القرآن سماعا وأسْمعه للناس بواسطة جبريل عليه السلام.

ومن بين أقوال العرب قول ابن فارس "تؤخذ اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتأْخذ تلقنا من ملقن، وتؤخذ سماعا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة "[1].

فابن فارس يري أن اللغة ظاهرة مكتسبة يكتسبها الطفل في صباه منذ أيامه الأولى من أفراد عائلته والمحيطين به كما يمكن للصبي أن يسمع المفردات فيلقنها تم التراكيب إلى أن تصبح صفة راسخة فيه.

فقدم السمع لأهميته على جميع الحواس الأخرى وقد اعتمدت العرب في العصر الجاهلي عليه بغية تربية أبنائها فكانوا يرسلونهم إلى البادية كونها موطن الفراسة والفصاحة.

وما قصة تربية سيدنا محمد على يد حليمة السعدية في مضارب بني سعد إلا دليل على ذلك،وقد قال صلى الله عليه وسلم " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد"[2].

[1]أحمد بن فارس: الصاحبي، دار إحياء الكتب العربية،ت ح أحمد صقر،1977،ص48.
[2]عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها،مكتبة دار التراث،مصر، ط3،ج1،ص209.

فكانت قريش حريصة على انتقاء الأجود والأفصح من الألفاظ وأحسن ما سمع نقلت عنهم العربية من قبائل العرب كقيس، وتميم، وأسد، وهذيل،وبعض كنانة وبعض الطائيين فنرى أن السماع عني به عناية بالغة من العرب قديما مما شكل أساسا وحاضنة بنوا عليها سليقتهم وسماعهم بالرغم من وجود العصبية الضيقة التي كانت تسود القبائل العربية.

ثالثا: شروط السماع عند العرب:

لقد رسم علماء العرب شروطا للسماع كي يكون سماعا موضوعيا خاليا من النقص أو الشك أو الريب فخلصوا إلى أن يكون متواترا(عن فلان وفلان ....) وأن يكون مستعملا لغويا وما تناقلته العرب نقلا صحيحا وكل ما خالفه شاذ، ومردود ولا يقاس عليه خارجا عن حد القلة إلى حد الكثرة، إضافة إلى أن يكون السامع ممن فقهوا من نبْع اللغة العربية أي العرب الخلصْ الذين رسموا سير أفعال العرب ولكي يكون السماع مكتملا يستحب أن تنقل قراءة القرآن عن شيخ يستند إلى قراءاته القرآنية التي سنها فتؤخذ من الآخر إلى الأول.

وما علة ذلك إلا خوف العرب من فساد اللغة واختلال توازنها حيث يقول ابن جني في باب (ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر)"علة ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد و الخصل، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها"[1].

يقصد بن جني في قوله أنه يجب أخذ اللغة من البوادي لأن أهلها حافظوا على لغتهم، فلم يمسسها لحن ولا اختلاط مع لغات الأجانب.

أما أهل الحضر فقد لحق لغتهم اللحن وتفشى الفساد فيها نظرا لاختلاطهم بالأعاجم الذين افتقروا إلى التحري والفصاحة.

وقد أشار إلى ذلك عبد العالي سالم مكرم في قوله:" ليس كل العرب على درجة واحدة من الفصاحة والبلاغة ومن هنا يجب التحري في كل مسموع فإن كان من القبائل العربية الخالصة التي اعتصمت بالبادية و تحصنت بالصحراء فمن عادات المدينة والحضارة اللكنة و العجمة أخْذ بهذا المسموع ورفضه وإن كان من مصدر آخر غير هذا المصدر المذكور"[2].

لقد اعتنى علماء العرب بالسماع، وشكلوا له أقساما كالنصوص المنقولة شفاهيا، وهي ما يملى أو يكتب من شيخ من مصدرها الشخصي وقد تنقل على قسمين: كالنصوص القرآنية من خلال القراءات القرآنية أو نصوص الشعر الجاهلي.

---

[1] أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، مصر، ج2، ص07.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر،2012، ص93.

فالنص القرآني: اعتمد فيه بشكل أصلي على مصحف عثمان عليه السلام رغم ما فيه من اختلافات يسيرة ،فجعلتْ سنة متبعة لما توارثه العلماء من هذه القراءات.

أما الشعر الجاهلي: فقد تعددت الروايات والاستشهادات من طرف العلماء كأبي البركات الأنباري الذي استشهد بأشعار الطبقات الثلاث وهم طبقة الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين الذي ذكره محمد سالم صالح في كتابه.

فممن استشهد الأنباري بشعرهم من الجاهلين: امرؤ القيس، الأعشى، وزهير، والنابغة وطرفة والخرنق وعنترة،ومن المخضرمين،لبيد وحسان بن ثابث، والحطيئة،وكعب بن مالك والخنساء" [1]

أما النصوص التي نقلت مباشرة فهي عبارة عن كلام منثور حفظه الناس من غيرهم فأصحابها هم الذين تكلموا بها عفويا ولم ينقولوها عن غيرهم، فذكرت كشواهد في كتب النحو فذكر منها سيبويه فيقول " سمعناهم يتكلمون به في الكلام ....."[2].

أي أنهم تحدثوا بها دون نقل في كلامهم وسمعها عنهم غيرهم ودونت في كتب النحو.

رابعا: مصادر السماع:

لقد جعل علماء العرب مصادر للسماع وقد أشار إليها السيوطي حين عرف السماع فقال: "ما ثبث في كلام من يوثق بفصاحته فشمل كلام الله تعالي وهو القرآن وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام العرب قبل بعثته في زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما أو نثرا عن مسلم أو كافر هذه ثلاثة أنواع لابد لها من الثبوت"[3].

1. **القرآن الكريم:**كونه مصدر الوحي وأصح السماع نقلا والبعيد عن كل تحريف لأنه أنزل من لدن حكيم خبير وقد تكفل الله عز وجل بحفظه فقال تعالى:﴿**إنا نحْن نزلْنا الذكْر و إنا له لحافظون**﴾(سورة الحجر ـــ9)

فاعْتبر المصدر الأول الذي لا يمكن أن تتفرق فيه الأمة.

وكان سيبويه أكثر النحاة تمسكا بالشاهد القرآني وأعظم إجلالا له، فكان يضعه في المرتبة الأولى، لأنه أبلغ كلام، وأوثق نص وصل، ولأنه يمثل العربية الأصيلة والأساليب الرفيعة ويخاطب العرب بلغتهم، فكان يورد شواهد القرآن مقرونة في الأغلب الأكثر بما ورد عن العرب من شعر أو نثر، وأحيانا بأمثلة يقيسها بأمثلة عما صح عن العرب[4].

[1]محمد سالم صالح: أصول النحو دراسة في الفكر الانباري، دار السلام، مصر، ط1، 2006، ص284.
[2]سيبويه(عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982، ص35
[3]جلال الدين السيوطي: مرجع سبق ذكره، ص36.
[4]خديجة الحديثي: دراسات في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت،1980،ص12

2. الحديث النبوي الشريف:

ويعد المصدر الثاني بعد القرآن الكريم لأهميتة ولكثرة الرواة المقبلين على سماع الأحاديث، فقد دعا القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى العمل بالسنة واستنباط الأحكام منها قوله تعالى﴿**ياأيهاالذين آمنواْ أطيعواْ الله وأطيعواْ الرسول وأولي الأمْر منكمْ فإن تنازعْتمْ في شيْء فردوه إلى الله والرسول إن كنتمْ تؤْمنون بالله والْيوْم الآخر ذلك خيْر و أحْسن تأْويلا**﴾(النساء___59).

وقوله تعالى﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكمْ عنْه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد الْعقاب**﴾(سورة الحشر___7).

فالسنة مبينة لكتاب الله ومجملة لما جاء فيه.

بالرغم من أهمية الحديث إلا أنه هناك من النحاة من لم يعتدوا به كأصل من الأصول فمنهم من المانعون ومنهم المجوزون، غير أن هناك من كان رأيه وسطا فهو لم يأخذ برأي المدرسة الكوفية و لا البصرية.

فنخْلص أن الاستشهاد بالحديث النبوي وارد حتى بروايات مختلفة وهذا إذا كان من كتب الصحاح وما اجتمعت فيهم شروط الصحة بوجود نظير له في القرآن الكريم وكلام العرب شعرهم أو نثرهم.

3. كلام العرب شعرهم ونثرهم:

فحدد كلام العرب بحيزين مكاني وزماني

- الحدود المكانية: فهو الأخذ عن أعراب البادية بسلوك طريق الرحلات أو الوافدين من الأعراب إليهم وقد نقلت كتب اللغة عدة أقوال منها ما وأرده جلال الدين السيوطي نصا في كتابه "المزهر " و"الاقتراح " نقلا عن الفرابي صاحب كتاب "ألفاظ الحروف " وفيه حدد القبائل التي أخذ عنها أوائل النحاة المادة اللغوية يقول فيه:(...والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم أقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين القبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم[1]ومعظمهم وعليهم أتكل في التقريب والإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم[2]،
- والاستزادة خريطة توزيع قبائل العرب في العصر النبوي[3].

[1]جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، دار القلم، دمشق، ط1، 1989، ص91

[2]جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، مرجع سبق ذكره، ص111.

[3]https:///www:islamweb: تم تصفح الموقع 11-05-2023،على الساعة 9:30.

- الحدود الزمانية:
- فقد أقرت كتب السير والتراجم لنا أن أبا عمرو بن العلاء [1]هو الذي ابتدع طريقة السماع اللغوي الميداني ولم يسبقه إلى ذلك لغوي آخر حيث تجول بما يقارب أربعين سنة[2].

ولا بد من ذكر السيد المتخصص في سماع الشعر وهو محمد بن سلام الجمحي [3]وهو من معاصرين لسيبويه حيث أنه أول من حرر المبادئ العلمية لنقد السماع الخاص بالشعر في كتابه طبقات الشعراء.

وهنا نخْلص أن السماع لم يقتصر على النثر وإنما كان للشعراء حضوة في نقد الشعر وتمحيص جيده من رديئه وعرضه كمادة لغوية سماعية للعرب.

[1]أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني التميمي البصري(70ه - 154ه/687م – 770م) أحد القراء السبعة وشيخ العربية والقراءة بالبصرة
[2]ذكره ذلك الزجاجي في مجالس العلماء و الزبيدي في طبقاته وابن سلام وغيرهم.
[3] محمد بن سلام الجمحي: طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص81.

جاءت خلاصة هذا الفصل لتبرز لنا إحدى أصول النحو العربي وهو السماع الذي بنى عليه علماء العرب قواعدهم اللغوية والنحوية بضبط محتوى المسموع لدى العرب وماهية الاهتمام الذي جعلهم يصنفونه سماعا علميا.

ولأن اهتمام علماء العرب بالسماع كوسيلة لتعليم أبنائهم الفراسة والسليقة العربية التي انتهجوها وتناقلوها بتواتر الخلص منهم عن بعضهم البعض بعيدا عن النقص والريبة.

فكانت العرب وخاصة قريش حريصة على انتقاء الأجود والأحسن فأخذ اللسان العربي منهم من بين قبائل العرب فحافظوا على اللغة العربية من ما لحقها من اختلاط وفساد من الأعاجم،وتحروا كل ما يسمع، فشكلوا نصوص شفاهية مصدرها القرآن الكريم،والسنة النبوية،وكلام العرب من شعر و نثر فجمعوا بين الزمان والمكان.

الفصل الثاني: السماع اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح

بعد بزوغ نور الإسلام شهدتْ الدولة الإسلامية استقرارا وأمنا بعد نشر دينهم وتبليغ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فاختلطت لغاتهم بالأعاجم وغيرهم على غرار الهنود والرمان واليونان، فشاع بينهم اللحن، وتفشى على ألسنتهم الفساد خاصة عند قراءة القرآن الكريم، فكان لابد للعلماء من جمع اللغة المتمثلة في المدونة اللغوية التي سماها القدامى "بالسماع" لأنها أعظم مدونة شهدتها البشرية في نظر عبد الرحمن الحاج صالح لأن القبائل العربية أخذت منها اللغة فانتشرت في أصقاع شبه الجزيرة العربية، فأخذ عنها علماء العرب معتمدين على مشافهة العرب الخلص، والسماع من أفواههم بالاستناد إلى القراءات القرآنية، فاسْتنهضتْ الهمم للحفاظ على اللسان العربي من الزيغ والانحراف الذي ارتكبه حتى بعض المسلمين في أداء النص القرآني.

ومن المحدثين الذين كتبوا عن السماع عبد الرحمن الحاج صالح مخصصا بابا في كتابه" السماع اللغوي العلمي عند عبد العرب ومفهوم الفصاحة "وسنتناول في هذا الفصل آراء الأستاذ الحاج صالح مركزين على ما ذكره من بيان لمحتوى السماع وخصائصه، والمبادئ التي تأسس عليها هذا السماع، إضافة إلى موقفه من هذا السماع.

أولا: تعريف السماع عند عبد الرحمن الحاج صالح:

يعرف عبد الرحمن الحاج صالح السماع بقوله: "ولابد من التنبيه على أن السماع هو مشاهدة لا للكلام فقط، بلْ لكل ما يجري في التخاطب من كلام وحركات وإيماء وكل ما يوجد فيه من قرائن في حال الحديث كما يقول سيبويه. ثم الكلام هو ألفاظ ومعان وأغراض، زيادة على ذلك،يقصدها هي بالذات المتكلم.وكل هذا يشاهده و يسجله أو يستنتجه من خلال الحديث والقرائن"1

فنخْلص من خلال تعريف الحاج صالح للسماع أنه يوافق ونظرة القدامى خاصة سيبويه الذي يستشهد به في غالب صفحات هذا الكتاب، فالسماع عند سيبويه هو مشاهدة للكلام وكل ما يرافقه من ظواهر وقرائن أثناء التخاطب يضيف إلى ذلك الحاج صالح ما

يترتب عن هذا الكلام من معان يقصدها المتكلم، فالكلام والظواهر تسجل مباشرة والمعاني تستنتج من خلال الحديث، وكل ما يحدث له من قرائن في حال حديثه تساعده على التمييز بين كل ما هو زائف وصحيح،و فيما يلي نعرض محتوى السماع وكيف قسمه عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه.

ثانيا: أقسام محتوى السماع وخصائصه :

لقد حصر عبد الرحمن الحاج صالح محتوى المسموع إلى نوعين من النصوص النصوص المحفوظة في الصدور، أما الأخرى فهي نصوص حرة عفوية.

أ- النصوص المحفوظة في الصدور:

عرفها بقوله "المنقول شفهيا فهي النصوص التي ينقلها الناطقون باللغة العربية بعضهم إلى بعض جيلا بعد جيل فلم يأخذها العلماء مباشرة من مصدرها الأصلي أي من أصحابها الذين أنشاؤها هم أنفسهم، فهي نصوص نقلتْ على صورة واحدة
إلا أن تأدية الناقلين لها كانت مختلفة لاختلافها في الأصل واختلاف المنشأ اللغوي للناقل (في الشعر مثلا)"[1].

فعرفها نصوص نقلت شفاهيا وتناقلها جيل بعد جيل فلم يأخذها العلماء من مصدرها الأصلي، فهي نصوص نقلت على صورة واحدة، إلا أن تأديتها اختلفت لاختلافها في الأصل أو اختلاف المنشأ اللغوي للناقل.

وقد قسمها بدوره إلى قسمين:

نص قرآني من خلال القراءات المتواترة أي التي نقلت عن الصحابة والتابعين والأئمة المعترف بهم فلها شكل أصلي واحد وهو مصحف عثمان، وهي سنة متبعة الآن، فالنص القرآني صانه المسلمون وحافظو عليه لقوله تعالى:﴿**أرْسلْه معنا غدا يرْتعْ ويلْعبْ وإنا له لحافظون**﴾ (يوسف ـــ 12)

أما الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين الذي توارثه فصحاء العرب، فلا يعرف الشكل الأصلي الذي أخذ منه غالبا خاصة إذا حصل اختلاف في الروايات في الغالب بحيث لا تصل تفسيرها لأنه أصبح لها مظهر كتابي زيادة على مظهرها الشفهي[2].

فمن خلال أقوال عبد الرحمن الحاج صالح لاحظنا عدم عزوفه عن ذكر الحديث كمصدر ثالث للسماع، بل اكتفى بالقرآن الكريم،وكلام العرب، ذلك لأنها سنة الأولين في ذلك وهي عدم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، وهو موافق لمذهبهم دائما، رغم أنه استشهد

[1] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، سبق ذكره،ص253.
[2] ينظر:نفسه،ص254.

به المتأخرون،كالسيوطي في نصه وجدنا هذا عند الكثير من النحاة المحدثين يقول سعيد الأفغاني: "كان النحاة يسمون المادة المسموعة (الفصيح) ويقصدون بدلك النصوص المأثورة التي تتسم بالنقاء اللغوي وعدم تأثرها بالأمم المجاورة وكانت هذه النصوص تقع على ثلاثة أنواع القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب الفصحاء شعرا كان أو نثرا" [1].

من خلال ملاحظاتنا فالحاج صالح جزم أن العرب الفصحاء الموثوق بعربيتهم ممن عاشوا عصر التحريات الميدانية هم مصدر كل ما وصل إلينا من مسموع ولا يوجد مصدر آخر غيرهم ومن جهة أخرى أشار إلى سيبويه وكتابه الذي يعد أهم مصدر وصل إلينا في النحو واللغة فيقول "قلما يأت في هذا الكتاب ولا مرة واحدة كلمة (قرأت في)أو(أخبرني) فلان في كتابه ....."وغير ذلك بل لجأ سيبويه من أول كتابه الى آخر سطوره الى عبارة (سمعت) و(حدثني)[2].

فهذا يدل على أن سيبويه كانت مصادره شفاهية وهي مشافهة العرب الموثوق بعربيتهم وكذا سماعه من العلماء الذين سبقوه إلى ذلك.

ب- النصوص الحرة العفوية:

عرفها بأنها النصوص التي سمعها اللغويون من أصحابها مباشرة، فليست بكلام محفوظ ومنقول، بل حفظه الناس من غيرهم، فأصحابها هم الذين تكلموا بها عفويا وأكثر هذه النصوص من الكلام المنثور، وهذا الكلام المنثور أخذ من لغة الخطاب اليومي الذي كثر ذكره كشواهد في كتب النحو ذكر منها سيبويه قوله:

"سمعناهم يتكلمون به في الكلام سمعناهم يقولون قدى في قد ويقولون: إلى في الألف والأم يتذكر الحارث ونحوه..."[3]..

أي ما سمعوه وحفظوه وتكلموا به عفويا من لغة لخاطبهم اليومي.

ذكر أيضا اختلاف سماع القدامى للمتأخرين نظرا المخالطة الأوائل لفصحاء العرب ومشافهتهم للفصاحة التي نشأوا في زمنها،فشكك في صحة كل ما جاء به المتأخرون من أمثلة المجالس أو الأمالي فقال بأنه غير صحيح،فأنتقد بشدة كل ما جاءت به الموسوعات الأدبية كالأغاني، والعقد الفريد والكثير من كتب الأدب وكذلك كتب الطبقات المتأخرة ليما فيها من اختلاط السماع الصحيح بالزائف الذي أصاب الكلام المنثور خاصة[4].

---

[1] سعيد الأفغاني: أصول النحو، مطبعة جامعة، دمشق،ط3، 1964، ص28.
[2] ينظر:السابق،ص254.
[3] سيبويه : الكتاب، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج4، ط2، ص23
[4] ينظر: السابق، ص 262ـــ265.

فنخْلص أن عبد الرحمن الحاج صالح ركز على ما يميز السماع لدى القدامى على المتأخرين نظرا لما جاءت به كتب الأدب من اختلاط للأسماع.

ثالثا: مبادئ السماع عند العلماء القدامى من وجهة نظر عبد الرحمن الحاج صالح:

لقد بنى النحاة ومن عاصروا سيبويه والنحاة الذين قبله لزمن الفصاحة والسليقة سماعهم على أسس علمية مخالفة للسماع وتدوين الحديث ومختلف القضايا اللغوية وهذا ما رآه عبد الرحمان الحاج صالح فلخص بذلك مبادئ السماع لدى القدامى إلى ثلاث نقاط رئيسية:

- الثبوت: ويقصد به الفصاحة المسموع بثبوت فصاحة سامعه.
- التحقيق: أي التحقيق بصحة ما يسمع أو ينقل.
- التوثيق: توثيق المسموع وتدوينه.

فيكون بذلك مرجعا علميا إذا تحققت فيه هاته الشروط[1]،فالمبدأ الأول الذي تمثل في الثبوت يقول الحاج صالح وعلى هذا فالسماع من فصحاء العرب وحدهم إذا تحقق العلماء من فصاحتهم كان كافيا كحجة أي كمرْجع علمي ويكفي أن ينسب العلماء ما سمعوه إلى هؤلاء لتبين الرواية ويكون بالثبوت مطلقا إذا جمع العلماء على ذلك[2].

فأكد بذلك الحاج صالح أن العلماء الذين اهتموا بجمع اللغة وضبطها عملوا على الفصاحة المنقول عنهم كأول خطوة عند مشافهتهم فإذ ثبت فصاحة هؤلاء بإجماع العلماء عد ما أخذ عنهم مرجعا علميا يستشهد به.

وهذا ما عاد إليه الحاج صالح الحديث عنه، وهو الفرق بين سماع النحاة وسماع المحدثين فالفرق يكْمن عنده في الإسناد لا على النقل عنه،فيهتم المحدثون بمعرفة المصدر الأول أو المخبر الأول عن المادة المنقولة، فكان لزاما أن يعرف المصدر كفرد ناقل أمين.

خلافا لنحاة الذين لا يهتمون بهذا الجانب خاصة الشعر الذي لم يروى عن أصحابه مباشرة فالمهم عند النحاة أن يكون المنقول معروفا عند فصحاء العرب، يقول الحاج صالح إن الشعر الذي لم يروه علماء العربية مباشرة عن قائله كالشعر الجاهلي، وبعض المخضرمين فلا يثبت صحته إلا إذا كان هذا الشعر معروفا عند فصحاء العرب،سواء كان البدو أو الحضر بالنسبة للقرن الأول حتى زمان سيبويه ترويه الرواة منهم لأنهم الذين تناقلوه جيلا بعد جيل فهم المصدر الأول والوحيد عند العلماء[3].

---

[1] ينظر عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، سبق ذكره، ص258.
[2] ينظر: نفسه،ص258.
[3] نفسه،ص258.

فاشترط الحاج صالح صاحب النقل يكون معروفا يروي مباشرة ومتعارف عليه لدى فصحاء العرب.

أما المبدأ الثاني: التحقيق الذي نشأ عليه السماع اللغوي عند القدامى والتأكد لصحة ما ينقل فهو يمثل الصيغة العلمية لكل منقول.

ويرى الحاج صالح إمكانية التحقيق من صحة المسموع ما سمعه سيبويه وأصحابه مصطلح (سمعت)و(حدثني)كثيرا في مؤلفاتهم ويقول "فإنه يقول وهو هنا يخاطب العلماء (في زمانه قبل كل شيء) هاهم العرب فاسألهم وتأكد مما سمعه غيرك"[1].

فالحاج صالح من خلال كلامه يرى أن استعمال اللغويين والنحاة ذلك المصطلحات مثل (سمعْت) و(أنشدني) فيراها دعوة صريحة لغيرهم من العلماء وخاصة من انتابهم الشك والريبة في صحة المعطيات اللغوية والتحقق منها، وقد أشار الحاج صالح إلى السلوك العلمي الذي سلكه القدماء في جمعهم للغة وضبطها وذلك في كتابه منطق العرب في علوم اللسان فيصرح" وكان العلماء و لا سيما النحاة منهم، إذا تمكنوا بالتحقق وذلك بالرجوع إلى أكبر عدد من الموردين أو الرواة أو القراء(في ذلك الزمن الغابر) الموثوق منهم[2] ،فيوضح من خلال هذا القول حرص العرب القدامى على نقل وتقديم معطيات صحيحة سليمة لا تشوبها ولا يتخللها شك أو ريب، وذلك بتحققهم من سلامة المعطيات اللغوية بالرجوع إلى أكبر عدد من العرب الفصحاء الموثوق بعربيتهم وفصاحتهم.

أما المبدأ الثالث الذي هو مبدأ توثيق المسموع وتدوينه و صحة المنقول وانتمائه إلى فصحاء العرب وهو ما كتب زمن سيبويه فلا يميز بين ما هو صحيح و ما هو رديء وهو ما جعل العلماء ينفرون من الأخذ عن تلك الصحف لأنها ليست موثقة علميا.

وهو ما نبه أحمد مختار عمر الذي يقول" ويلاحظ أن علماء اللغة جميعا في حال الرواية لم يجيزوا الاعتماد على النص المكتوب وإنما استندوا أساسا على المشافهة والتلقي وحذروا العالم من الاعتماد على النص المدون، وحذروا المتعلم من تلقي العلم على من يفعل ذلك ومن أقوالهم المشهورة:"لا تأخذوا العلم على صحفي، ولا القرآن على مصحفي" وهم بذلك لا يختلفون عن منهج الحديث الذي يعتمد على الراوي اللغوي ويعتمد على الكلام المنطوق دون المكتوب"[3]فأوضح من خلال ذلك أن القدامى لا يجيزون الأخذ من النصوص المكتوبة وحذر من هذا الفعل، أما ما يقر اعتمادهم على السماع والمشافهة كل ما هو منطوق دون كتابة.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح:لسماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص259.
[2] عبد الرحمن الحاج صالح:منطق العرب في علوم اللسان، ص97.

رابعا: المقاييس العامة لصحة المسموع:

جعل الحاج صالح مجموعة من المقاييس التي تضبط السماع ومدى مصداقيته العلمية ومن بين المقاييس التي تطرق إليها.

المقاييس العامة:

وهو النظر إلى السماع من وجهة نظر لغوية حديثة، وقد أشار عبد الرحمان الحاج صالح للتراث العربي الذي تركه القدامى وهو ما تم جمعه من مسموع في المدونة اللغوية وهي "مجموعة نصوص جمعتْ في داخل تراب معين حدد العلماء تخومه وسكانه"[1].

وقد وقف الحاج صالح على مدى موافقة ومخالفة البنيويون للسماع اللغوي ومحتوى المدونة العربية فأورد مقاييس وضوابط وشروط سماع النصوص التي جمعتها المدونة في رقعة جغرافية متكونة من الأعراب الفصحاء الذين يوثق بفصاحتهم واللغويون الذين ينقلون ما ورد عن فصحاء العرب دون زيادة أو نقصان.

لا يكتفي اللغوي بما سمعه ودونه هو وحده فيضيف ما سمعه وجمعه، كما لا يسمح ما حدث من تغير من إضافة أو حذف أو نقصان في المسموع الذي تم الإجماع عليه وتصنيفه في المدونة.

خامسا: المقاييس التاريخية لصحة الرواية:

لقد كان أهل العلم من القدامى يكتفون بالذي روى السماع عن الفصحاء على السليقة، بعد أن يتأكدوا منه من قبل العلماء أما الشعر فيلزم اسم الشاعر أو الناقل كما بين الحاج صالح وإلى نوع السماع الذي كان يعتمد عليه القدامى ولكن إثبات هذا المسموع "(هل هو فصيح أم لا؟) لا يكفي في إثبات الشعر لابد من التمييز بين الصحيح و المصنوع وبين المنحول وغير المنحول[2]"وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة في عربية ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ...،وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب لم يأخذه من أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء وقد اختلف العلماء في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء، فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه2

نستنتج أن من الشعر ما هو سماع صحيح مبدل و ما هو غير صادق في أصله الحقيقي الذي ورد عليه فلا خير فيه فهو لم يأخذ من البوادي ولم يتم القبول به أو الإجماع عليه من الثقة أو الخلص الذين شهد لهم بالأمانة والإخلاص فهو مبتذل لا معنى له.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح:اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص268.
[2] عبد الرحمن الحاج صالح: اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص292.

وقد أورد الجامعون للأشعار من الرواة من فصحاء العرب وسماهم علماء العرب[1]لاختلاف مساكنهم ومدائنهم فكانوا من " البصرة أو الكوفة وأقدمهم وكانوا من القراء فكان هؤلاء المرجع الأساسي في رواية الأشعار الصحيحة وجمعها وهم أبو عمرو ابن العلاء والأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وأبو الخطاب الأخفش وغيرهم من البصرة والمفضل الضبي وأبو عمر الشيباني وابن الأعرابي وابن السكيت وغيرهم من الكوفة"[2].

اعتبر الحاج صالح الرواة الذين جمعوا الشعر من فصحاء العرب هم المرجع الأساسي الذي يرجع إليهم في رواية الأشعار وذكر من بينهم الرواة الغير اللغويين أمثال " حماد الراوية " فهم ينسبون بعض الأشعار إلى دواوين الشعراء الكبار.

ومما يجدر بالذكر ما ذكره الحاج صالح في شرح الديوان المنسوب الى ثعلب بعد تحقيقات قدمت ورد فيها آنذاك اسم الأصمعي 117 مرة كراوي وشارح واسم أبي عمرو الشيباني 82مرة، أما اسم حماد فلم يأتي إلا17 مرة[3]، فأكد من خلال ذلك أن اللغويين المختصين في الشعر واللغة لم يذكروا حماد الراوية ولا غيره من الإخباريين القدامى في كتاباتهم ومصنفاتهم.

التحريات اللغوية الميدانية للسماع من أفواه العرب (القرن الثالث والرابع).

بدأ التحري الميداني للسماع مبكرا عند العرب، فكان من حظهم مشافهة فصحاء العرب الناطقين باللغة والسماع عنهم سماعا مباشرا بعد تجوالهم الواسع في الأراضي العربية وجمعهم لأشعار العرب فقد كانوا"يسْبحون في الجزيرة العربية، يسألون البدو ويكتبون عنهم"[4]

وعليه سنعرض أحد العلماء القدامى من الذين كان لهم إسهام معتبر في عصر السماع ومن بينهم:

أبو عمرو بن العلاء، أول متحري ومقرئ لغوي ولد (سنة 68ه أو 70ه) بمكة نشأ بالبصرة ولقب بإمام أهل البصرة في القراءة والنحو وقدوة في العلم واللغة أخذ عن جماعة التابعيين وهو في النحو في الطبقة الرابعة بعد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه"[5] وهو أول من اعتمد طريقة السماع اللغوي الميداني ولم يسبقه إلى ذلك أي لغوي آخر. ويحكي عنه أبو محمد

[1]عبد الرحمن الحاج صالح: نفسه، ص293.
[2]نفسه،ص294.
[3]نفسه،ص303.
[4]رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط6، 1999م، ص230.
[5]جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986، ص131.

اليزيدي أنه تجول في البدو بما يقرب أربعين سنة ويقول عنه الجاحظ أنه عرف الكثير من الفصحاء الذين عاشوا في زمان الجاهلية[1].

قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة.

وكان أبو عمرو متحري واسع بعلمه وبأحوال العرب من شعر ونوادر وأمثال.

اختلف العلماء في سنة وفاته قيل أنه توفي تسع وخمسين ومائة أو" أربع وخمسين ومائة على الأرجح"[2].

سادسا: مناطق السماع وأماكنه:

لقد أجمع العلماء المعاصرون على أن جمع اللغة وتدوينها كان عن طريق السماع ومشافهة الأعراب الفصحاء بموطن عيشهم وبالرحلات التي يقومون بها يقول محمود سليمان ياقوت مبينا ذلك" وقد اعتمد نحاة البصرة في إقامة بناء صرح النحو والتصريف على ما سجلوه من كلام العرب خلال الرحلة إلى البادية ومشافهة الأعراب في ديارهم"[3].

فمن خلال قوله نستنتج أن هؤلاء العلماء امتنعوا عما وجدوه مدونا في الصحف لاحتوائه على الزيف والكذب وتوجهوا إلى التحري الميداني وأخذ اللغة من أفواه أصحابها عن طريق السماع، وقد خص سليمان ياقوت نحاة البصرة بالذكر لأنهم كانوا السباقين لجمع اللغة ودراسة محتواها. وأكد الحاج صالح أن سيبويه تعلم من شيوخه طريقة السماع العلمي فانتهج منهجهم حيث نزل الميدان مكثرا التجوال في أخذه عن العرب كآفة وقد تجلى ذلك في استعماله للمصطلحات التي استعملها في كتابه، يقول الحاج صالح:" وقد جاءت كلمة "العرب" في كتابه أكثر من خمسمائة وثمانون مرة في عبارة: " قول العرب" وغيرها ويستحيل أن يكون سمع كل هذا الذي ذكره من العرب القاطنين في البصرة أو من المريد."[4]

ما نستخلصه من خلال قوله أن المصطلحات التي استعملها سيبويه في عرضه للمادة اللغوية لم تكن مصطلحات عشوائية ولم تكن اعتباطية، بل جاءت تحمل دلالات معينة أراد سيبويه الإشارة إليها فاستعمل مصطلح العرب أكثر من خمسمائة وثمانون مرة دليل واضح على خروجه للبوادي والقبائل العربية وعلى امتدادها والسماع عن الفصحاء من ساكنيها فلم يقتصر سماعه عن الأعراب الوافدين للبصرة، فالمناطق التي يعتبرها مناطق سماع هامة شأنها شأن المناطق الكبرى مثل الحجاز وغيرها، فقد كانت مقصد العلماء للسماع والمشافهة.

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص337.
[2] نفسه: ص 339
[3] محمود سليمان ياقوت: منهج البحث اللغوي، مكتبة لسان العرب، الكويت، د، ط، د، ت، ص282.
[4] السابق: ص348

إن من خلال دراسة هذا الفصل وما وصل إليه الحاج صالح هو أن السماع أول عملية أخذت من أفواه العرب بطريقة مباشرة فلم يسبق إليها أحد وما اعتمدوه من تحريات وجمع للغة من أفواه الناطقين بها عن طريق المشافهة وهو الأمر الذي خالفوا فيه الهنود واليونانيين الذين اهتموا بتدوين لغتهم المقدسة.

ومما أكده الحاج صالح أن اللغويين العرب لم يتركوا قبيلة أو بطن في شبه الجزيرة العربية إلا سمعوا من أفراده من خلال نصوص المدونة اللغوية العظيمة خاصة نصوص الشعر، وما أثاره حول الشواهد النثرية وكتاب سيبويه الذي عده مرجع وصل إلينا في اللغة والنحو وجب اعتمادنا عليه، والمتأمل لما جمعه علماء العرب القدامى وكيفية سماعهم انطلاقا منْ ما قدمه الحاج صالح يجد التزامه بمبدأ وصف اللغة وجمعها وضبطها بشكل عملي.

ومما يجدر بالذكر بروز مجمل التصورات الخاطئة التي تبناها اللغويون في زمننا والتي تدور حول أعمال القدامى وما وصل إلينا من كتبهم خاصة اعتقادهم الخاطئ بوجود لغة أدبية تختص بالقرآن والأشعار، ودونها بلغة الأحاديث اليومية، فنفاها وبين بطلانها بالحجج والبراهين، وقد ختمت هذا الفصل بأهم مناطق السماع الكبرى التي تمركز عليها السماع بإيجاز محددا مجالها الجغرافي الذي شملته في شبه الجزيرة العربية.

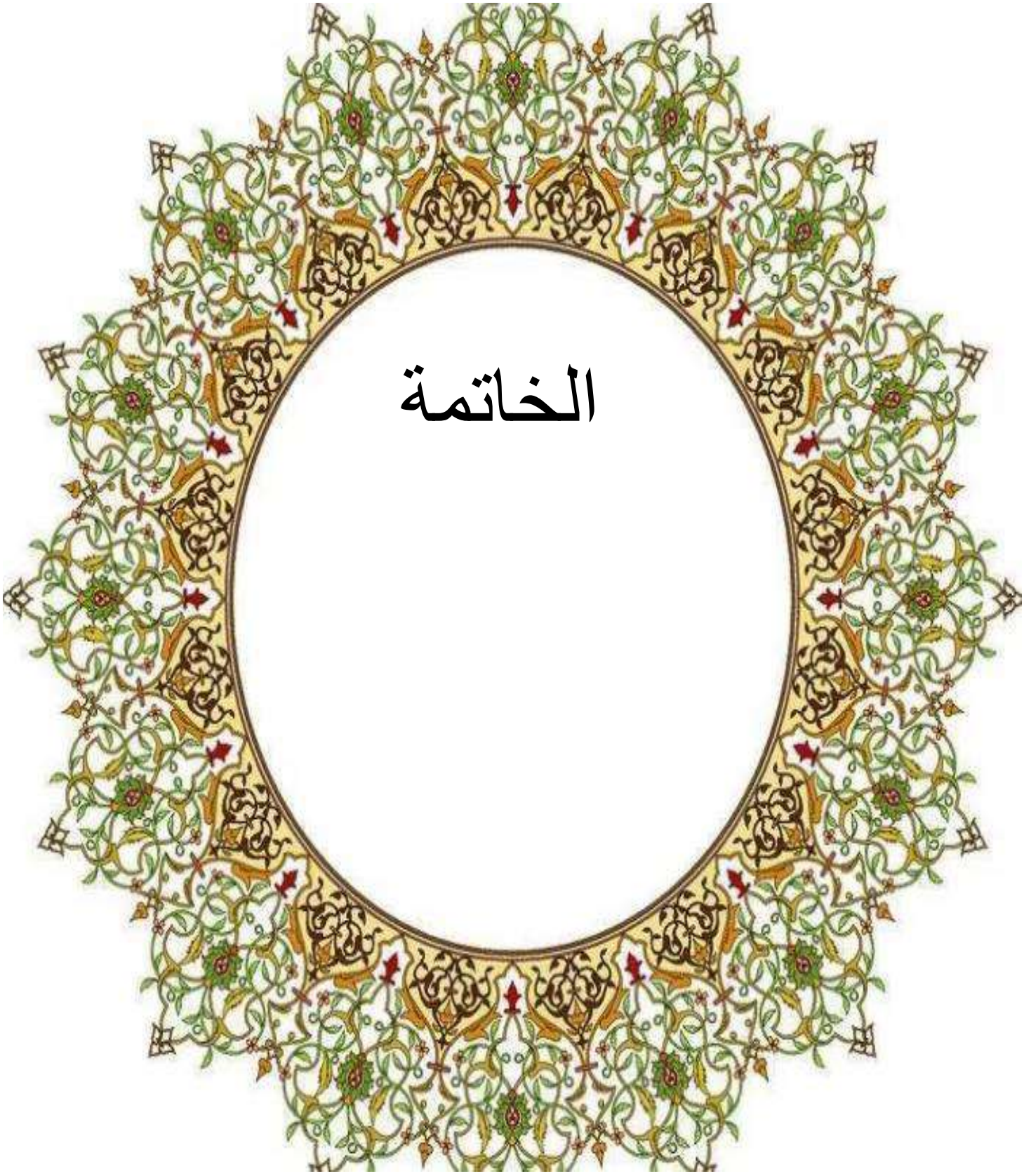
الخاتمة

لقد تمت دراستي الموسومة ب" رؤية عبد الرحمن الحاج صالح لقضية السماع اللغوي عند العرب في كتابه(السماع اللغوي عند العرب) ومن جملة النتائج التي توصلت إليها:

1. السماع اللغوي هو السماع الفعلي من أفواه الناطقين بهذه اللغة وهي العربية.
2. تعد المدونة اللغوية (السماع) بنظر الحاج صالح أول سماع حصل في تاريخ البشرية ولم يسبق إليه أحد من علماء اللغات الأخرى.
3. اعتماد الحاج صالح على كتاب سيبويه، وما تضمنه من آراء نحوية خاصة المصادر النحوية القديمة.
4. يعد السماع اللغوي والعلمي من أبرز ما توصل إليه عبد الرحمن الحاج صالح.
5. يعتبر السماع أول تحري ميداني عربي شهده العالم من وجهة نظر عبد الرحمن الحاج صالح.
6. إن ما قام به اللغويون من إنتاج لغة القرآن ولغة الشعر صحح التصور الخاطئ الذي يقضي بجود لغة واحدة ولهجات متصلة.
7. السماع اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح هو المشاهدة المباشرة لكل ما يجري في التخاطب من كلام وحركات وإيماء وكل ما يوجد فيه من قرائن حال الحديث وهو نفس تعريف سيبويه.
8. اعتمد عبد الرحمن الحاج صالح على مقاييس عامة وأخرى تاريخية لإثبات صحة محتوى المسموع اللغوي وما ينفك عن هذه المقاييس هو مفتعل لا يعتد به عند جمهور العلماء رواية كان أو شعرا.
9. تقسيم الحاج صالح لمناطق السماع(مناطق هامة ،ومناطق خاصة) وهذا جعله يعتمد على منهج القدامى الشائع في كتبهم.

وتبقى هذه النتائج قابلة للإثراء لكل الباحثين المنخرطين في دراسة مؤلفات عبد الرحمن الحاج صالح.

قائمة المصادر
و المراجع

القرآن الكريم.
1. الأنباري محمد كمال الدين: الإعراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تح، سعيد الأفغاني، دار الفكر،لبنان،ط2، 1971.
2. ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار،المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، مصر،ج2.
3. ابن فارس أحمد: الصاحبي، دار إحياء الكتب العربية، ت ح أحمد صقر،1977م
4. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب،القاهرة،ط6، 1988.
5. سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر: الكتاب، ت ح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، ط2، 1402ه 1982م
6. الجوهري ابن حماد: الصحاح، دار الحديث، القاهرة، 2009م.
7. التواتي بن التواتي، المدرسة النحوية، دار الوعي،ط1.
8. تمام حسان: للغة بين المعيارية ووصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م.
9. جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، دار البيروني، دمشق، ط2، 1988م.
10. علي بن يوسف القفطي: إنباه الرواة على أنباه النحاة تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998م.
11. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة،ج7، 1119م.
12. جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، مصر، ط3،ج1.
13. خديجة الحديثي: دراسات في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، 1980م.
14. رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، ط6، 1999م.
15. سعيد الأفغاني: أصول النحو، مطبعة جامعة، دمشق، ط3.
16. سعيد ضيف الله: "إسهامات عبد الرحمان الحاج صالح الجزائري في تسيير البحث اللغوي"، مجلة العاصمة، المجلد التاسع،2017م.
17. محمود أحمد نحلة: أصول النحو العربي، دار العلوم العربية، لبنان، 1987،ط1.
18. محمود سليمان ياقوت: منهج البحث اللغوي، مكتبة لسان العرب، الكويت، د،ط، د،ت.
19. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، د.ط،2007م.

20. عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، 2006.

21.عبد الرحمن الحاج صالح: فؤاد بوعلي،" شخصيات أدبية وعربية"، منتدى ملتقى الأدباء المبدعين العربwww.almoltaq.com.

https:///www:islamwe.22.

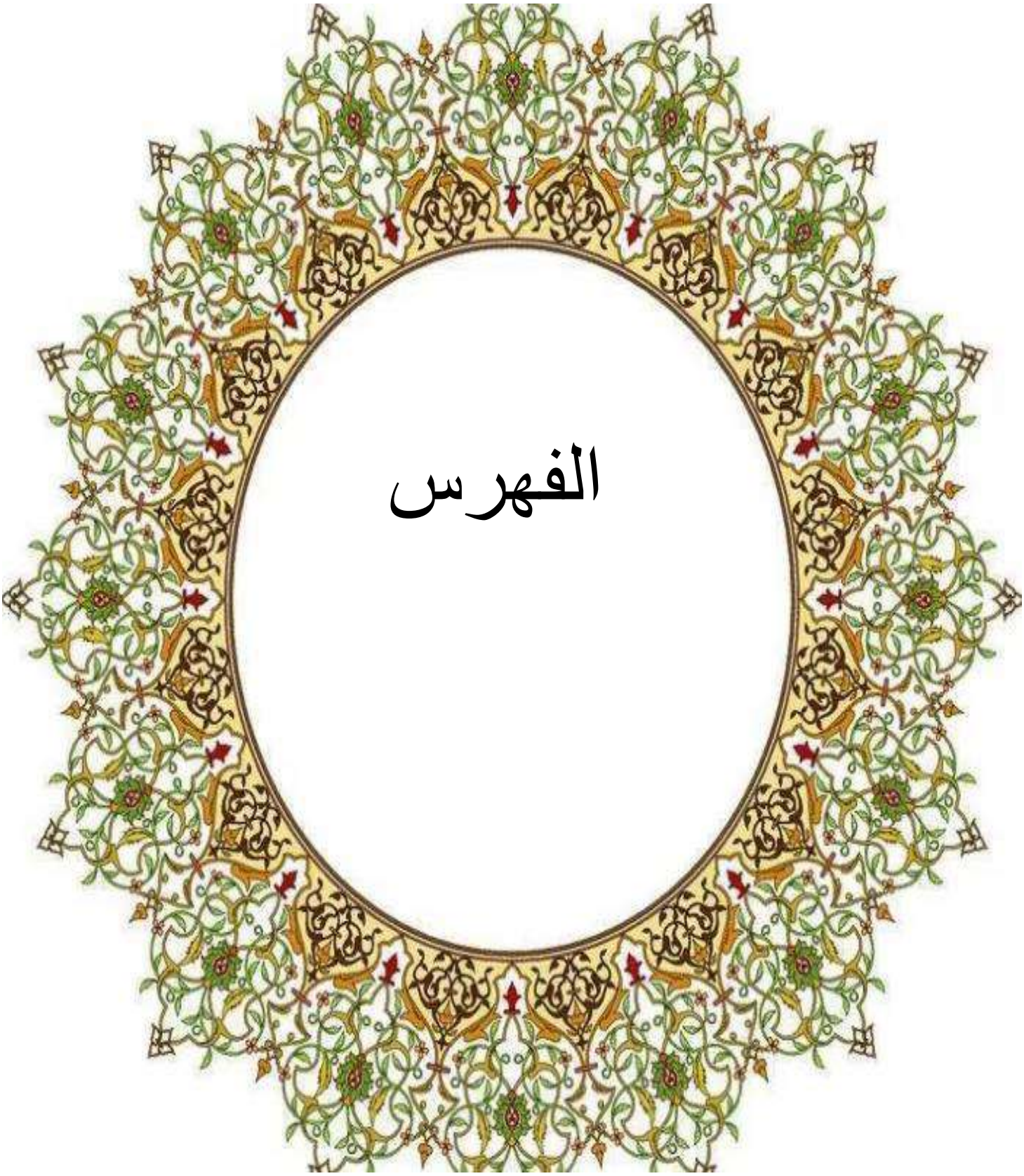
الفهرس

الاهداء: I
شكر وعرفان II
الملخص: II
المقدمة ..... **Error! Bookmark not defined.**
تمهيد 10
أولا: التعريف بالدكتور عبد الرحمن الحاج الصالح: 11
ثانيا: مسيرته العلمية: 11
1. الدراسات والشهادات: 11
2. المناصب والمسؤوليات: 12
3. النشاط العلمي: 12
الفصل الأول: السماع اللغوي عند العرب 13
أولا: تعريف السماع: 14
أ- لغة: 14
أ- اصطلاحا: 15
ثانيا: أهمية السماع: 16
ثالثا: شروط السماع عند العرب: 17
رابعا: مصادر السماع: 18
1. القرآن الكريم: 18
2. الحديث النبوي الشريف: 19
3. كلام العرب شعرهم ونثرهم: 19
الفصل الثاني: السماع اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح 22
أولا: تعريف السماع عند عبد الرحمن حاج صالح: 23
ثانيا: أقسام محتوى السماع و خصائصه : 24
أ- النصوص المحفوظة في الصدور: 24
ب- النصوص الحرة العفوية: 25

ثالثا: مبادئ السماع عند العلماء القدامى من وجهة نظر عبد الرحمن الحاج صالح: 26
رابعا: المقاييس العامة لصحة المسموع: 28
خامسا: المقاييس التاريخية لصحة الرواية: 28
سادسا: مناطق السماع وأماكنه: 30
الخاتمة 31
قائمة المصادر و المراجع.....31
الفهرس 31